

التفوق التكنولوجي ليس حلًّا لكل شيء

بقلم: ميلان فيجو

- 
- 
- 

البحرية بحاجة ماسة إلى إعادة التركيز على الجوانب الأقل حساسة ولكن الأكثر حرجة في الحرب

البحرية

تركز القوات البحرية عادة تركيزاً أكبر على العتاد أكثر مما تفعله بقية الجيوش. والسبب هو أن الحرب

البحرية تتمحور بشكل كبير حول المنصات وأسلحتها ومجساتها. والتقنية المتفوقة هي عنصر واحد من عدة

عناصر أخرى حاسمة لادارة ناجحة للحرب في البحر، ولم تكن أبداً كافية لوحدها لقتل خصم قوي و Maher

نسبةً. ومع ذلك، أصبحت البحرية الأمريكية تركز بشكل حصري تقريباً على قيمة وأهمية التقنيات المتطرفة.

إن هذا الاعتماد المفرط تقريباً هو السبب الرئيسي لنقص القوة القتالية المتوازنة والنظرية البحرية المتماسكة والمبدأ السليم فيما يتعلق بالمستوى التشغيلي للحرب، كما أنه السبب الرئيسي للتراجع المستمر للأهمية المعطاة للعامل البشري في الحرب البحرية. حيث تُعطى للإدارة والنماذج التجارية قيمة أكبر من القيادة وخوض الحرب.

قيمة التقنية

بشكل عام، تمتلك البحرية ذات التقنية المتفوقة فرص أكبر بالنجاح على خصمها المتفوق عديماً ولكن لا يملك تقنية عالية. وتعطي السفن والطائرات التي تتمتع بقدرات كبيرة خيارات أكثر في توظيف القوى البحرية، كما أنها تسلط الضوء على الحاجة لقوة تتحلى بمستوى عالي من العلم بكيفية استخدامها. كما تؤثر التطورات في هذه المجالات على التخطيط بعيد المدى للبحرية والفن التشغيلي والتخطيطات قصيرة المدى، ولكن ليس بنفس القدر.

بالرغم من مدى تقدم التقنية، إلا أنها لا تستطيع أن تحل محل الفن التشغيلي، وذلك حسبما أكد بعض أنصار شبكة الحرب المركزية (NCW: Network-centric warfare) حيث أنها تؤثر بشكل كبير على طابع الحرب في البحر فقط ، أي على الميزات المؤقتة والعرضية والقابلة للتكييف التي تمثل فترات حربية

^١ مختلفة عبر التاريخ.

بالإضافة إلى التقنية، فإنه يتم تحديد طابع الحرب بشكل أساسي عبر العلاقات الدولية السائدة، أي السياسات المحلية والظروف الاقتصادية والاجتماعية والديموغرافية والدينية والقانونية وغيرها من الظروف في منطقة معينة. وعلى الرغم من ادعاءات أنصار شبكة الحرب المركزية في أوائل الألفية الثانية إلا أنه لا يمكن للتقنية تغيير طبيعة الحرب، أي الصفات الثابتة وال通用 والمتأصلة التي تحددت عبر العصور. وهي تشمل الدور المهيمن للسياسة والاستراتيجية والعنف والكره واللاعقلية والريبة والخلاف والخوف والخطر وسفك الدماء والحظ.²

الحرب أكثر تعقيداً من التقنية

إن تركيز البحريـة المفرط على التقنية أزداد بشكل كبير في كل من المجال والعمق في أواخر عام 1990 مع قبول مجرد من الحرج تقريباً لفوائد تقنيات المعلومات، ومع حتى وجود ادعاءات أنها تقدم نظرية حرب جديدة.³

وادعى أكثر أنصار شبكة الحرب المركزية صراحةً أن طريقة الحرب الأمريكية الجديدة نشأت نتيجة تبني شبكة العمليات المركزية.⁴ ولكن هناك فرق كبير بين الاثنين، حيث أن نظرية الحرب تتعلق بزمن معين في التاريخ البشري متتجاوزة الحدود القومية والعرقية، وهي تشمل وصفاً مفصلاً للحرب وعناصره والعلاقات المتبدلة بينهما.⁵ وهي تستند إلى الدليل التجريبي من عدة صراعات وليس فقط الصراعات التي تم خوضها مؤخراً، وفي المقابل فإن طريقة الحرب القومية هي نتاج ثقافة ومجتمع سياسي وعسكري معين.

إن تحيز البحرية الأمريكية القوي للحلول التقنية جليّ في قوى القتال الخاصة بها، والتي تتالف بشكل حصري تقريباً من حاملات طائرات كبيرة ذات قدرة عالية ومؤكّفة ومقاتلين على الأرض وسفن برمائية وغواصات. وينعكس أيضاً في مضمون بيانات الرؤية والمواقف المختلفة لقوة البحرية ، وفي مفرداتها المتمحورة حول التقنية. فعلى سبيل المثال، في القوة البحرية 21، تركز رؤية البحرية البعيدة المدى التي تم الكشف عنها في يونيو/ حزيران 2002 بشكل أساسي على القدرات المستقبلية فيما يتعلق بالتقنيات والخطط قصيرة المدى الجديدة. وبالمثل وعلى الغالب فإن بيانات الوضع السنوية لرئيس العمليات البحرية أمام الكونгрس الأمريكي تعالج المسائل المتعلقة بتخطيط القوة.

النظرية أمر حاسم للنجاح

واحدة من أخطر عواقب هذا التركيز المفرط هو عدم وجود نظرية شاملة للحرب البحرية. حيث يشكك العديد من ضباط البحرية الأمريكية بالنظرية بشكل عام. بالنسبة لهم، الممارسة هي وحدتها المهمة. كما أنهم يعتقدون اعتقاداً راسخاً أن التقنية المتقدمة هي مفتاح النصر في البحر. وهذا ربما سببه نقص فهّمهم لماهية النظرية البحرية والغرض الحقيقي منها.

إن النظرية البحرية أضيق في نطاقها من نظرية الحرب، لأنها تتعلق بشكل أساسي بتوظيف القوات البحرية. وعند فهمها بالشكل الصحيح، فهي تصف المكونات والعناصر الأساسية للحرب البحرية والعلاقات بينها. كما أنها تشرح أثر الجوانب غير العسكرية على تحضير الحرب في البحر وإدارتها.

إن النظرية البحرية الواضحة أمر ضروري من أجل فهم الحروب السابقة وإدارة الحروب المستقبلية بنجاح. فهي توفر للضباط وهم بحاجة ماسة لها معرفة أوسع وأعمق لجميع جوانب استخدام القوات البحرية في المعركة حيث يمتلك القائد البحري المسلح بمعرفة نظرية راسخة فهماً أكثر ثباتاً للتغيرات المفاجئة في وضع ما، كما أنه يتصرف بثقة وسرعة أكبر من أجل التفوق على الخصم.

لا يمكن وضع مبدأ ثابت دون الفهم الكامل لجميع جوانب الحرب في البحر بناء على التاريخ والتقنية. وفي الوقت نفسه، تساعد المعرفة الشاملة للنظرية البحرية الضباط في إدراك نقاط قوة وضعف المبدأ البحري.

وقد أثر عدم وجود النظرية البحرية سلباً على أداء القوى البحرية في المعركة. فعلى سبيل المثال، بحلول عام 1914، أدت التطورات التقنية السريعة إلى هيمنة عامة لما يسمى بمدرسة "العتاد" على "المدرسة التاريخية" في معظم القوى البحرية الرئيسية اليوم.^٦ وفي البحرية الملكية، تم إهمال النظرية وفن الحرب في البحر، وكان الوضع مماثلاً في القوى البحرية الألمانية والفرنسية. ولهذا، لم تؤد أي من القوى البحرية الكبرى أداء جيداً خلال الحرب العالمية الأولى.

الفن التشغيلي ينطبق أيضاً على البحر

على الرغم من كل التجارب، يعتقد الكثير من ضباط البحرية الأمريكية إما أن الفن التشغيلي يصلح فقط للحروب في البر، أو ذو فائدة قليلة إن وجدت في الحرب في البحر. ولكن الفجوة بين التخطيط البعيد المدى والخطط القريبة المدى كبيرة للغاية ليتم رأبها بالقتال الجسدي وحده. ومن هنا أنت الحاجة لهذا المجال

الوسيل من الدراسة والممارسة- الفن التشغيلي- من أجل تنسيق أعمال البحرية الآنية لغرض تحقيق الأهداف التشغيلية والأهداف البعيدة المدى في نهاية المطاف في مسرح بحري معين.

وعلى عكس مبدأ الجيش والمبدأ المشترك، لم تتبني البحرية بعد النظرية والممارسة الموجودة في العمليات البحرية الكبرى- سلسلة من الأعمال البحرية الآنية ذات الصلة التي تسعى إلى تحقيق هدف تشغيلي توجهها فكرة مشتركة. وتبين التجربة أن التفوق التقني النوعي والتفوق العددي بالإضافة إلى الأداء الآني الرابع أمر غير كافية لوحدها. ويجب أن تقترب الخطط البحرية البعيدة المدى مع التفوق التشغيلي. وهذا هو مفتاح الفوز بالحروب في الماضي وسيبقى هو مفتاح النجاح في المستقبل.

إن وجهات النظر الرسمية للبحرية الأمريكية حول ما يُشكّل السيطرة البحرية والحرمان من البحر تشرح عادة باستخدام مصطلحات متناقضة. ويعتقد العديد من يعملون في الخدمة أن البحرية تمتلك السيطرة البحرية في وقت السلم بفضل الوجود المتقدم لمجموعات حاملات الطائرات الضاربة والقوات البرمائية. ولكن الوجود المتقدم يسمح للبحرية بالسيطرة فقط على أجزاء مختارة من محيطات العالم بسرعة أكبر بعد اندلاع الأعمال العدائية. والأمر الذي غالباً ما ينسى هو أن معانات السيطرة على البحر تبدأ مع بدء الأعمال العدائية.

وحتى وقت قريب، أدلت البحرية بعدد كبير من التصريحات العامة أدَّت فيها أنها قادرة على ممارسة السيطرة البحرية العالمية. وهذا أمر سخيف. إن المحيطات في العالم واسعة للغاية بحيث لا يمكن لأي بحرية، بغض النظر عن حجمها وتطورها، ممارسة هذه السيطرة حتى في مسرح بحري واحد.

وقد أقرَّ أخيراً مفهوم العمليات البحرية 2010 الجديد والذي صدر في مايو/ أيار من عام 2010 باستحالة

تحقيق السيطرة البحرية العالمية. وانصب تركيزه بدلاً من ذلك على تحقيق "السيطرة البحرية المحلية" من

أجل حماية "الخطوط البحرية الضرورية للاتصالات ونشر القوة القتالية في الخارج ودعمها".⁷

ولكن لا يتم التفكير مطلقاً بحقيقة أن الخدمة قد تضطر، حتى ولو مؤقتاً، إلى الحرمان من البحر وذلك في حال

واجئت عدوين قويين في البحر أو في المرحلة الأولية من حرب بحرية كبيرة. ويدرك المؤلفون أن المفهوم

الجديد لا "يصف الخدمة الأنية للبحرية أو مبدأها" ولكنه يلعب دور "البشير بتطور الاثنين".⁸ ولاحظ انه لم

يتم حتى ذكر الفن التشغيلي.

إن تجاهل الفن التشغيلي أو إهماله كان دائمًا السبب الرئيسي للخسارة في الحرب البحرية، كما هو

موضح من قبل البحرية الإمبراطورية اليابانية في الأعوام 1941-45 ، حيث تمحور كامل المبدأ الآني لهذه

البحرية حول التخطيط والتحضير لمعركة فاصلة مع القوة القتالية الرئيسية للعدو. وأهمل اليابانيون كلا من

الرؤى بعيدة المدى والفن التشغيلي.⁹

ُظهرت معركة منتصف الطريق (Midway) في يونيو/ حزيران 1942 والصراع على جوادلكلال

Guadalcanal من أغسطس/ آب 1942 وحتى فبراير/ شباط 1943 والمعركة من أجل ليت Leyte في

أكتوبر/ تشرين الأول من عام 1944 عدم وجود التفكير التشغيلي لدى القادة التشغيليين في البحرية اليابانية،

كما أنهما تبنوا بشكل حصري تقريباً روح العمل الهجومي وتغاضوا بشكل فادح عن الحرب المضادة

للغواصات ودفاع التجارة البحرية.¹⁰

العامل البشري

واحد من أكثر هذه الآثار الضارة هو الإهمال العام وعدم تقدير دور الأشخاص. حيث سادت حالة

مشابهة في البحرية الأمريكية في عهد الأدميرال ألفريد ثير ماهان Admiral Alfred Thayer Mahan .

وكانت الحرب بالنسبة لغالب ضباط البحرية وقتها نوعاً من التمرين الإداري أو معادلة رياضية أو مبدأ

هندسي. ولهذا كانت دراسة الحرب تعتبر غير مهمة.¹¹

في البحرية اليوم، يعطي معظم أنصار شبكة الحرب المركزية العنصر البشري أهمية ظاهرية فقط ،

مؤكدين أن تقنية المعلومات توفر إمكانية الانتقال من قوات كبيرة تقاتل معارك متالية (حرب استنزاف) إلى

هجمات دقيقة شبه متزامنة باستخدام قوات أصغر. ويظهر التحيز التقني في طريقة وصف الخدمة لدور البشر

في قيادتها والتحكم بها. فعلى سبيل المثال، يوصى النظام الشبكي الجديد المسمى FORCENet بأنه: "البناء

التشغيلي والإطار المعماري للحرب البحرية في عصر المعلومات والذي يوحد المحاربين وأجهزة الاستشعار

والشبكات والقيادة والسيطرة والمنصات والأسلحة في قوة قتالية شبكية وموزعة قابلة لقياس عبر طيف

الصراع من قاع البحر إلى الفضاء ومن البحر إلى الأرض."¹²

ولكن الغاية من الأنظمة التقنية مثل FORCENet هي المساعدة في عملية صنع القرار وليس التحكم

بها. والبشر ليسوا الآلات التي تم دمجها بهذه الأنظمة التقنية، بل هم من يتحكم بهذه الأنظمة تحكمًا كاملاً.

ويبدو أن البحرية قد نسيت أن البشر وليس التقنية هم العامل الرئيسي في تحقيق الانتصارات في البحر.

ويمثل العتاد في الحرب البحرية الوسيلة وليس الغاية. تغيرت الطبيعة البشرية قليلاً، على الرغم من

التغيرات التقنية الكبيرة والقوى البحرية التي تجاهلت أهمية القيادة لم تحسن الاداء في القتال ، كما يتضح من

الخسائر الكارثية التي منيت بها البحرية الإيطالية في ليسا في عام 1866 ، والبحرية الإسبانية في عام 1898

والبحرية الإمبراطورية الروسية في العامين 1904-1905.

الحرب البحرية، كما الحرب بشكل عام، تُشكّلها الطبيعة البشرية . وهذا يعني تعقيدات السلوك وقيود الحالات

الجسدية. وتشكل الجوانب المادية والنفسية للحرب كياناً طبيعياً، فهي مرتبطة بطريقة معقدة.¹³

اختصار لتاريخ البحرية والجيش

إن تاريخ البحرية والجيش هو المصدر الرئيسي للحصول على فهم أوسع وأعمق لطبيعة الحرب

وطابعه بشكل عام وال الحرب البحرية بشكل خاص. و دراسته هي أفضل طريقة مثبتة لفهم ضباط البحرية أن

الحرب ليست علمًا ولكنها فن إلى حد كبير. فهو يظهر مزايا وقيود التفوق التقني في الحرب البحرية.

إن دراسة هذا التاريخ أمر مهم لفهم التفاعل المعقد بين العناصر الملحوظة وغير الملحوظة في إدارة الحرب

البحرية فهماً صحيحاً. ولكن وعلى الرغم من قيمته المثبتة، إلا أن دراسته في المعاهد التعليمية التابعة للبحرية

الأمريكية مهمة إلى حد بعيد. وبالإضافة إلى ما سبق، يسلم العديد من ضباط البحرية بوجهة نظر الأنصار

الأساسيين للتقنيات الجديدة أنه لا يوجد بالفعل ما يمكن تعلمه من التجارب الماضية.

وقد سادت حالة مماثلة في سلك ضباط البحرية الأمريكية في أواخر القرن التاسع عشر. وكتب ماهن

أن ضابط البحرية الأمريكية النموذجي كان يعتقد أنه من المهم أكثر "معرفة كيفية صناعة مسدس، وتصميم

سفينة، وفهم نقاط قوة العتاد، ومراقبة النجوم عبر التلسكوب، وعلى اطلاع بالكميات والكهرباء، من أن

نُغرس فيه معلومات حول قوانين الحرب أو فهم التعامل الآني مع الأسلحة أو أن يكون خبيراً في الأسئلة المتعلقة بالسياسة وبالخطط البحرية البعيدة المدى والآنية.¹⁴" وقد وجد أن معظم الضباط رغبوا بأجوبة سهلة

وسريعة لأكثر أحداث العالم تعقيداً. واعتقد الكثيرون (وما زالوا يعتقدوناليوم) أن الحرب هي في الأساس

مشكلة تقنية يمكن استغلالها عبر الوسائل الميكانيكية.

في العقود المبكرة التي تلت عام 1945، كان يوجد في البحرية توافرًا نسبياً بين التعليم الجامعي التقني

والعلوم الإنسانية. وقد تم تحقيق هذا الأمر بشكل تلقائي أكثر من كونه خطوة محكمة¹⁵ ولكن ومع ظهور

العصر النووي والتأثير القوي للأدميرال هايمان جي. ريكوفر، أصبح التدريب المستقبلي لضباط البحرية

مائلاً بشدة باتجاه الهندسة والرياضيات والعلوم.¹⁶ حتى بعد ترك ريكوفر الخدمة في عام 1982، إلا أن

تأثيره بقي.

إن مناهج الأكاديمية البحرية الحالية مصممة بشكل كبير لمجالات الهندسة والأسلحة والعلوم. وفي

مجال العلوم الإنسانية، هناك فقط بعض مواد حول التاريخ البحري أو العسكري. ومن حوالي 48 مادة

تاريخية تم تقديمها في 2010-11، تناولت ثلاثة منها فقط تاريخ البحرية (واحدة من المواد إجبارية)،

وتناولت مادتان التاريخ العسكري، ومادتان التاريخ العسكري والبحري.¹⁸ ومن الواضح أن عدد هذه المواد

المقدمة للضباط المستقبليين غير كاف على الإطلاق. وعلاوة على ذلك، لا توجد أي فصول عن تاريخ

البحرية القديم أو الحروب البحرية في القرن التاسع عشر أو الحروب البحرية في الحربين العالميتين. ولا

يمكن لهذا الأمر إلا أن يؤثر تأثيراً سلبياً على تعليمهم المهني.

بالنظر إلى أهميتها وقيمتها الكبيرتين، هناك خطر كبير من المغالاة في التقنية وبالتالي نسيان الإطار

الأوسع الذي يتم فيه خوض الحروب في البحر. وهذا لا يعني أنه لا يجب على البحرية الحفاظ على تفوقها

النوعي وتعزيزه، بل على العكس، يجب عليها ذلك. ولكن يجب عليها أيضاً وعلى وجه السرعة إصلاح

الأثار السلبية لسعيها الأوحد للحصول على آلات ذات قدرات متزايدة دائماً على حساب جوانب أقل مادية

ولكنها ذات أهمية أكثر بكثير في الحرب البحرية.

المراجع

1. مايكيل شيهان، "طابع الحرب المتغير"، في جون باليليس، وستيف سميث، وباتريشا أوينز، المحررون، **علوم السياسات العالمية: مقدمة حول العلاقات الدولية** (أوكسفورد: جامعة أوكسفورد للصحافة، الإصدار الرابع، 2007) الصفحة 216.
2. بيرnard برودي، **القوة البحرية في عصر الآلة** (برنسون: جامعة برنسون للصحافة، 1943) صفحة 4.
3. المدير، تحويل القوة، شبكة الحرب المركزية: خلق ميزة فاصلة في خوض الحرب (واشنطن العاصمة، وزارة الدفاع، شتاء عام 2003) الصفحة 1. المدير، تحويل القوة، تنفيذ شبكة الحرب المركزية (واشنطن العاصمة، وزارة الدفاع، 5 يناير/ كانون الثاني 2005) الصفحة 15.

4. أرثر سبيرو و斯基، "قواعد جديدة لمرحلة جديدة،" اتجاهات التحول ، 21 أكتوبر/ تشرين الأول 2002،

الصفحة 28.

5. هنري إي. إيكليس، المفاهيم والفلسفة العسكرية (نيو برونزويك، نيو جيرسي، جامعة روتجرز

للسingapore، الصفحتين: 27-28).

6. أرثر جاي. ماردير، من السفينة الحربية المدرعة إلى سكانا فلو: البحرية الملكية في عصر فشر، 1904-

1919 المجلد الأول، الطريق إلى الحرب 1914-1904 (لندن: جامعة أوكسفورد للصحافة، 1961)

الصفحتين: 400-401.

7. مكتب رئيس العمليات البحرية، مفهوم العمليات البحرية 2010: تطبيق الاستراتيجية البحرية (واشنطن

العاصمة: قيادة البحرية الأمريكية، سلك البحرية الأمريكي، 24 مايو/ أيار 2010) الصفحات 53-51.

8. المرجع نفسه، صفحة 2.

9. توشيوكى يوكوي، "خواطر عن هزيمة البحرية اليابانية" في دافيد سي. إيفانز، المحرر. البحرية اليابانية

في الحرب العالمية الثانية: بكلمات ضباط بحرية يابانيين سابقين (أنابوليس: المعهد البحري للصحافة،

الإصدار الثاني، 1986) الصفحة 502.

10. دافيد سي. إيفانز ومارك أر. بيatti، الاستراتيجية والتكتيكات والتكنولوجيا في البحرية الإمبراطورية

اليابانية 1897-1914 (أنابوليس: المعهد البحري للصحافة، 1997)، الصفحة 512.

11. دونالد دي. شيبمان، "وجهة نظر ماهان الكلاسيكية ومهنة السلاح،" مجلة الجامعة الجوية، مارس/ آذار-

أبريل/ نيسان 1986، تم الدخول إليها عبر:

12. قيادة البحرية الأمريكية، خارطة طريق تحول البحرية 2003: الوصول المضمون وإسقاط القوة، من البحر (واشنطن العاصمة، قيادة البحرية، 2003) الصفحة 63. جيسس أي. يورانغا، "مقر البحرية مع مركز عمليات البحرية: توفير قدرات متقدمة للبحرية،" نطاق info شتاء 2006-2007-2007-2006 الصفحة 18.
13. كارل فون كلوزويتز، عن الحرب، مايكيل هاورد وبيتير بارييت، المحرران والمترجمان (نيويورك، لندن، تورونتو: مكتبة إفري مان، ألفريد أيه. كنوبف، 1993) الصفحة 216.
14. شيمان، "وجهة نظر ماهان الكلاسيكية وكفاءة السلاح،" الصفحة 2.
15. سيل كايه. بويل، التدريب على الأمور المعروفة والتعليم للأمور غير المعروفة: صراع البحرية من أجل الوضوح مع التعليم العالي في العلوم الإنسانية، من هولواي إلى ريكوفر (أنابوليس، ماريلاند: الأكاديمية البحرية الأمريكية، 17 ديسمبر / كانون الأول، 2004) الصفحة 3.
16. خطاب الأدميرال هايمان جي. ريكوفر أمام الجمعية الوطنية للعلماء الخاصين السابقين في مكتب التحقيقات الفيدرالي، سياتل، واشنطن، 30 أغسطس / آب، الصفحات: 1911.
17. بويل، التدريب على الأمور المعروفة، الصفحة 18.
18. الأكاديمية البحرية الأمريكية، معلومات المقرر في قسم التاريخ، تم الدخول إليه في 10 سبتمبر / أيلول 2010 عبر <http://www.usna.edu/acdean/courses/HH.html> ، الصفحات: 1-12.

Dr. Milan Vego

Dr. Vego is Professor of Operations, Joint Military Operations Department, at the Naval War College, Newport, Rhode Island.

د. ميلان فيغو

يشغل د. فيغو منصب أستاذ العمليات، قسم العمليات العسكرية المشتركة، في الكلية الحربية البحرية، نيوبورت، جزيرة رود آيلاند

Source: Technological Superiority Is Not a Panacea, By Dr. Milan Vego.

Proceedings Magazine. www.usni.org (United States Naval Institute). October

2010 Vol. 136/10/1,292 المجلد 2010 - أكتوبر/تشرين الأول مجلة Proceedings Magazine.

1,292 /10/136